الجائزة العربيَّة في تحقيق التُّراث
من التُّراث العلميّ إلى التُّراث الأدبيّ

عرض: الأرقم الزعبي

إيماناً *من المنظَّمة العربيَّة للتَّربية والثَّقافة والعلوم.. بأهميَّة التُّراث الشِّعريّ اختار معهد المخطوطـات العربيَّة الكتاب الفائز بالجائزة العربيَّة في تحقيق التُّراث لعام 2000 م، وهـو بعنوان: شعر أبي نُخَيْلَة الحِمَّانيّ /ت:147 هـ/ - جمع وتحقيق ودراسة الأستاذ: عدنان عمر الخطيب.*

***

استحقَّ الأستاذ الخطيب الجائزة عن جدارة واقتدار لدقَّة منهجه في جمع الشِّعر وطريقة تحقيقه ودراسته، ولعلَّ الأهمَّ صنعة المسارد الفنيَّة للكتاب (الفهرسة) التي عقدها المُحقِّق؛ فقد أشرك /462/ مصـدراً ومرجعاً من الأمَّهات.. وهي ذات صلة وثيقة بالموضوع، وظَّفها السَّيِّد الخطيب في عمليَّة تحقيقه لشعر أبي نُخَيْلَة خيرَ توظيف، حتَّى شكَّلت مع العمل المُحقَّق عائلة أدبيَّة، بعضها من بعض، تُشـعرك بالقـرابة الحقيقـيَّة بيـن مسيرة من كتب في الأدب العربيّ قديماً وحديثاً.. ومُحقِّقنا اختار المنهجيَّة الصَّارمة في علم التَّحقيق.. فالعمل يكشف النقاب عن دأب وإخلاص حقيقيين وذهنيَّة علميَّة وموضوعيَّة، وهي من مزايا المُحقِّق الجيِّد، ممَّا مكَّنه من إتمام الغرض من الكتاب بأسلوب نأى فيه عن التَّكلُّف والغموض، وصولاً إلى أهداف البحث.

***

يقع العمل في /371/ صفحة من القطع الكبير، توزَّعت على ثلاثة عناوين رئيسة:

1-الدِّراسة: وتتألَّف من فصلين:

الفصل الأوَّل: حياة أبي نُخَيْلَة الحِمَّانيّ.

الفصل الثاني: شعر أبي نُخَيْلَة.

وقد شكّلت هذه الدّراسة التي عقدها المُحقّق /47%/ من حجم الكتاب.

2-ما نُسب إلى أبي نُخَيْلَة وغيره، وما نُسب إليه، وليس له، وتخريج الشّعر.

وقد شكّلت /20%/ من حجم الكتاب.

3-المسارد الفنيّة: "مسرد: الآيات –الأمثال –الكواكب –النّبات –الحيوان –الأعلام –الأماكن –اللّغة –مسائل العربيّة.. المصادر والمراجع".

وقد شكّلت هذه المسارد برُمّتها /22%/ من حجم الكتاب.

وهكذا نجد أنّ السّيّد الخطيب خدم مادّة البحث خدمة زادت البحث أهميّة، ممّا يُثبت أنّه قام بقراءة المصادر والمراجع التي أدرجها قراءة مُتأنية وفاحصة، مكّنته من توظيفها، حيث نادراً ما نجد صفحة من صفحات الكتاب إلاّ حوَت حواشي لا تقلّ أهميّة عن المتن.

الأمر الذي يُؤكّد صوابيّة قرار اللّجنة العلميّة المؤلّفة من ثُلّة من كبار الباحثين العلماء في مصر الشّقيقة، حيث درست عمل المُحقق، وانتهت إلى اختياره فائزاً بجائزة تحقيق التّراث لعام 2000م.

***

ومن المهمّ هنا الإشارة إلى أهميّة الرّجَز، فهو كما يقول المُحقّق: "**البحر السّهل، العذب النّغَمات، المُتدفّق حركةً تُوافق الغناء، ومنه انبثقت الأبحر الأخرى المُركّبة، وبهذا يُعدُّ الرّجَز أقدم القوالب الفنيّة التي عمد إليها العربيّ في غنائه، فإذا به في الجاهليّة يُقدّم على هذا البحر، مُغنّياً به في أثناء حُدائه أو مَتْحه أو مُفاخرته.. مُقدّماً لنا من خلاله مُقطّعات قليلاً عددُ أبياتها**".

غير أنّ الرّجَز ازدهر في عصر بني أُميّة على يد رُجّاز كبار أعلام، **كالعجّاج**، وابنه رؤبة، وأبي النّجم العجليّ، وكذا **أبو نُخَيْلَة الحِمّانيّ السّعديّ** الذي أسهم مع أصحابه في اكتمال فنّ الأرجوزة شكلاً ومضموناً؛ فقد تعدّدت الأغراض الشّعريّة التي تناولها أبو نخيْلة (المدح –الهجاء –الرّثاء – الفخر –الوصف –الغزل –الحكمة) مُضمّناً إيّاها سمات معنويّة ولفظيّة. وإليكَ بعض مقاطعَ من شعره، تُظهر أغراضه وسماته:

1-المديح والهجاء: قال يمدح مَسْلَمَةَ بن عبد الملك:

أمَسْلَمُ إنّي يا بنَ خَيْرِ خليفةٍ	ويا فارسَ الدُّنيا ويا جَبَلَ الأرض
شكرتُكَ إنّ الشُّكرَ حبلٌ من التُّقَى	وما كلُّ مَنْ أوْلَيْتَهُ نعمةً يقضي
وألقَيْتَ لمّا أنْ أتيتُكَ زائراً	عليَّ لحافاً سابغَ الطُّولِ والعَرْضِ
وأحيَيْتَ لي ذكري وما كانَ خاملاً	ولكنَّ بعضَ الذِّكرِ أنبهُ من بعضِ

وقال يهجو المُهاجر بن عبد الله الكلابيَّ:

إنَّ الكلابيَّ اللَّئيمَ الأَثْرَما
أعطى على المِدْحَةِ ناباً عِزْما
ما جَبَرَ العظمَ ولكنْ تمَّما

2-الفخر: قال يتحدَّث عن نفسه وشاعريته:

ها أنا سيفٌ من سيوفِ الهندِ
ما شِيْتُ إلاَّ نظرةً في غِمْدِ
فإنْ تَقلَّدْني تُعِدْ لي حَدِّي
وكلُّ ما سَرَّكَ عندي عندِي

وقال أيضاً:

أنا ابنُ حَزْنٍ وأبو نُخَيْلَهْ
وَيْلٌ لمن مِلْتُ عليهِ مَيْلَهْ
أو سالَ من بحري عليهِ سَيْلَهْ
أقْتلُهُ بالهمِّ تلكَ اللَّيْلَهْ

وهكذا يظهرُ شاعرنا أنَّه صاحبُ فخر ذاتيّ.

3-الغزل: قال يتغزَّل في ابنةِ آل مَعْبَد:

لم يُنْسِني يا بنةَ آلِ مَعْبَدِ
ذِكراكِ تكرارُ اللَّيالي العُوَّدِ
نجديَّةٌ ذاتُ مَعَانٍ مُنْجِدِ
كأنَّ رَيَّاها بُعَيْدَ المَرْقَدِ
رَيَّا الخُزَامَى في ثَرىً جَعْدٍ نَدِي

***

تظهر في الأغراض الشِّعريَّة لأبي نُخَيْلَة سمةُ الوضوح، وإنْ حوى شيئاً من الغريب يجعل المعنى غامضاً؛ لأنَّ الغريب لا علاقة له بعدم وضوح المعنى؛ لأنَّه بالعودة إلى المعجمات يصبح المرء أمام معنى واضح، لا غموضَ فيه.

***

بقي أن نقول: إنَّ جمع وتحقيق ديوان: "**شعر أبي نُخَيْلَة الحِمَّانيّ**" يُعَدُّ عملاً غير عاديّ في تحقيق التُّراث، تطاول فيه المُحقِّق عدنان الخطيب على الذات، فاستحقَّ بحقٍّ جائزة أفضل مُحقِّق لعام 2000م.. وهو بعمله دفع إدارة معهد المخطوطات العربيَّة التَّابع لجامعة الدُّول العربيَّة نحو تغيير طبيعة الجائزة من **جائزة لتحقيق التُّراث العلميّ إلى جائزة لتحقيق التُّراث الشِّعريّ**، ممَّا يُبَشِّر بظهور مُحقِّقٍ يحمل أبعاد هذه الكلمة، يُشار إليه بالبنان.. من المُهمّ أن يبقى اسمه في الذَّاكرة، ومن المُهمّ أيضاً أن ينضمّ إنتاجه إلى مكتبة كلّ باحث عن عمل يجمع بين الخطوات العلميَّة المنهجيَّة والفكرة التي تُسَوِّغ البحث، وباحث يُعطي للبحث أو للدِّراسة أشياء كثيرة من الرُّوح والعقل.. عدنان الخطيب يضيف إلى إنتاجه[1] إضافة جديدة.. لا يعيبها إلاَّ صرامة البحث إلى درجة التَّطرُّف والمُغالاة.

□□□

[1] - 1- *خَلْق الإنسان*، لأبي جعفر محمَّد بن حَبيبَ البغداديّ الأديب العلاَّمة اللُّغويّ (ت: 245 هـ). وهو كتاب لغويّ صغير خاصّ بأعضاء الإنسان، أقامه مؤلِّفه على أساس مُعجميّ، فرتَّبه على أبواب: باب الألف، باب الباء.. وهكذا، ثمّ أدرج في كلّ باب أسماء الأعضاء التي تنتمي إليه، مُراعياً في ذلك الحرف الأوَّل من العضو ليس إلاَّ، غيرَ آبه بجذر الكلمة، مع شرح قليل للغاية لبعض الأعضاء وشواهد من الشِّعر أقلّ، مُقدِّماً لنا كتاباً في خَلْق الإنسان للشُّداة فيما يبدو، قام الأستاذ الخطيب بتحقيق هذا الكتاب تحقيقاً علميّاً وبإخراجه إلى النُّور طبعةً أولى في المركز العربيّ للكمبيوتر -دمشق 2001م، وطبعةً ثانية في دار الفارابيّ للمعارف - دمشق 2002م.

2- *جزء في تسمية أعضاء الإنسان*، لأبي البركات بدر الدِّين محمَّد بن محمَّد الغَزِّيّ، العامريّ الدِّمشقيّ، العلاَّمة الموسوعيّ المعروف (ت: 984هـ). شرح أبو البركات في هذا السِّفر اللُّغويّ كتاب ابن حَبيبَ السَّابق الذِّكر شرحاً علميّاً وافياً، مُدعِّماً بالشواهد الغزيرة شعراً وغيره، مع المُحافظة على ترتيبه المُعجميّ، والاستدراك عليه من الأعضاء التي فاته ذكرها مما رأى وجوب استدراكه. أخرج المُحقِّق هذا الكتاب إلى النُّور أيضاً بحلَّة علميَّة قشيبة طبعةً أولى في دار الفارابي للمعارف - دمشق 2002م.